٦٥٣: البابا مارتن الأول ينكر في إحدى رسائله التعاون مع الساراسينيين المتوسعين

دانيال ج. كونيغ

دانيال ج. كونيغ، ٦٥٣: البابا مارتن الأول ينكر في إحدى رسائله التعاون مع الساراسينيين المتوسعين، المنشور في: تأريخ العلاقات عبر البحر المتوسط، المجلد ١، العدد ٢ (٢٠١٩).

DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2019.1.2.16

الملخص: في رسالته إلى ثيودوروس سبودايوس، رجل دين في آيا صوفيا، يدافع البابا مارتن الأول عن نفسه ضد الاتهامات بأنه تعاون مع المسلمين الآخذين في التوسع. يتم بتفسير هذه الاتهامات في الإطار الأوسع للنزاعات العقائدية عن طبيعة يسوع التي أدت إلى توتر العلاقات بين رومة والقسطنطينية في الفترة المبكرة من التوسع العربي الإسلامي.

المصدر

Martinus I. papa, ep. 14 ad Theodorem, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, col. 199A (الترجمة: رضا حامد قطب سعد).

Ego aliquando ad Sarracenos nec litteras misi, nec quem dicunt tomum qualiter credere debeant, aut pecunias nunquam transmisi, exceptis duntaxat quibusdam illuc venientibus servis Dei causa eleemosynae, quibus et modicum quid praebuimus minime ad Sarracenos transmissum.

لم أرسل للساراسينيين أي رسائل ولا إرشاد مكتوب (tomus)، كما يقول البعض، فيما عليهم الإيمان به. كما أني لم أرسل لهم أي نقود على الإطلاق، باستثناء ما أرسلته من صدقات لبعض خدام الرب الراحلين إلى هناك. والقليل الذي منحناه لهؤلاء لم يصل بأي حال من الأحوال إلى الساراسينيين.

المؤلف وأعماله

[١] كان مارتن الأول (في المنصب ٦٤٩–٦٥٣)، المولود في تودي/أومبريا، يعمل في البداية شماسا وممثلا للبابوية بالقسطنطينية للبابا ثيودوروس الأول (في المنصب ٦٤٢–٦٤٩) الذي كان من مدينة القدس. أُنتخب مارتن الأول للبابوية عام ٦٤٩ وواصل سياسة سلفه الذي كان أثناء فترة منصبه يعارض المونوثيليتية التي كانت القسطنطينية تروج لها، وهو مذهب نشأ من رحم الصراع حول طبيعة المسيح، يَنْسِب لعيسى إرادة واحدة، بدلا من إرادتين إحداها إلهية والأخرى بشرية.[1] وقد تنازل مارتن عن تصديق القيصر قنسطنس الثاني (حكمه ٦٤١–٦٦٨) على انتخابه، الذي رفض بعد ذلك الاعتراف بالبابا. بالإضافة إلى ذلك فقد عقد مارتين في عام ٦٤٩ مجمعا كنسيا في لاتران برومة قام فيه ١٠٥ أسقفا من فلسطين ومناطق أخرى بإدانة المونوثيليتية كما أدانوا فيه مرسوما أصدره القيصر بتحريم تناول هذه الموضوعات الحساسة بالنقاش. وقد اعتبر القيصر هذا الأمر خيانة، وأرسل في شتاء عام

[1] Plank, Monotheletismus, col. 765.

٦٤٩–٦٥٠ الأكسرخس أوليمبيوس إلى روما للقبض على مارتن. ويبدو أن أوليمبيوس قد واجه مقاومة في روما ومال إلى جانب مارتن قبل أن يُتوفى بقليل. بعد ذلك قبض الإكسرخس ثيودوروس كاليوباس على مارتن في عام وأرسله إلى القسطنطينية حيث عقدت له محاكمة في الفترة بين ديسمبر ٦٥٣ ومارس ٦٥٤. وبفضل تدخل بطريرك القسطنطينية بولس الثاني لم يعدم بل نُفي إلى خيرسون في شبه جزيرة القرم حيث توفي هناك عام ٦٥٥. وقد نُقلت عن مارتن عدة رسائل منها أربع رسائل إلى ثيودوروس سبودايوس، وهو أحد القساوسة بكنيسة آيا صوفيا، كما كان مؤلفا فيما بعد لتقريرين عن شهداء من مذهب الديوثيليتية الذين ماتوا من أجل إيمانهم بأن عيسى له إرادتين منفصلتين، واحدة بشرية والأخرى إلهية. ومن رسائل مارتين كذلك رسالة إلى مكسيموس المعترف، وهو أحد شركائه في مناهضة المنوثيليتية. بالإضافة إلى ذلك هناك مجموعة من الرسائل المنقولة باليونانية بيد أن هناك شك في أن كتبها مارتن.[2]

المحتويات والإطار التاريخي للمصدر

[٢] في الرسالة الثانية إلى ثيودوروس سبودايوس ينفي مارتن عن نفسه تهمة التعاون مع الساراسينيين. ويحيل البحث العلمي هذه الرسالة بالإجماع إلى فترة ما بعد قبض ثيودوروس كاليوباس على مارتن. لكن هناك خلاف على تحديد الوقت بالضبط الذي كتبت فيه الرسالة ما بين عام ٦٥٣ وعام وفاة مارتن في ٦٥٥. يحيل إيكهارد روتر (Ekkehard Rotter) كتابة الرسالة إلى الفترة الزمنية قبل بداية المحاكمة بالقسطنطينية، أي في الأشهر التي سبقت ديسمبر ٦٥٣. وقد برهن على هذا التوقيت بأن مارتن لم يذكر في رسالته تهمة الخيانة العظمى ولا التعاون مع الإكسرخس أوليمبوس، بل عبر عن رأيه بخصوص تهمة التعاون مع الساراسينيين. ويرى روتر في الرسالة لهذا السبب محاولة البابا توجيه الرأي العام في القسطنطينية لصالحه. وبذلك يعارض روتر الآراء البحثية السابقة التي ترى أن عدم التطرق إلى تهمة الخيانة العظمة بمثابة اعتراف بالجرم، وينطلقون طبقا لذلك من كتابة الرسالة في القسطنطينية نفسها أو في خيرسون.[3] ولا يكاد يُستنتج من دفاع مارتن ما اتهم به بالفعل فيما يتعلق بالتعاون مع الساراسينيين. فهو يدافع عن نفسه ضد اتهامه بالاتصال بالساراسينيين وبأنه كان له عليهم تأثير عقائدي عن طريق إرشاد لاهوتي مكتوب، وبأنه أرسل لهم مساعدات مالية بواسطة بعض القساوسة. وهو لا يستبعد في هذا السياق اتصال بعض القساوسة به وبالساراسينيين.[4]

ربط السياق والتحليل والتفسير

[٣] ليس من الواضح من هم المعنيون بالساراسينيين. هل هم مسيحيون عرب تحت الحكم البيزنطي تمكنوا من البقاء بعد التوسع العربي الإسلامي؟[5] أم هل يقصد بهم المسلمين المتوسعين الذين سيطروا من عام ٦٣٦ على منطقة الشام وفلسطين وغزوا مصر منذ عام ٦٣٩ وتوغلوا شمال غرب إفريقيا في بداية الأربعينات من القرن السابع؟[6] كما أنه ليس من الواضح كذلك ما هي المنطقة التي تواصل فيها مارتن مع الساراسينيين. إن سيرة مارتن طبقا لما ورد في "كتاب الباباوات" (Liber pontificalis) تقول بأن الإكسرخس أوليمبيوس المتعاون مع مارتن قد زحف إلى صقلية ليحارب الساراسينيين هناك، والذين كانوا على وشك السيطرة على الجزيرة.[7]

---

[2] Conte, Martin I., col. 341; Winkelmann (ed.), *Prosopographie*, pp. 184–185.
[3] Rotter, *Abendland und Sarazenen*, pp. 184–185.
[4] König, Zur Ausstrahlung, p. 43.
[5] Kawar, Djabala b. al-Ayham, p. 354.
[6] Noth, Der frühe Islam, pp. 59–60.
[7] *Liber pontificalis*, ed. Duchesne, vol. 1, cap. LXXVI (133),VII, p. 338: “Videns ergo Olympios exarchus quia manus Dei circumtegebat Martinum sanctissimum papam, necesse habuit se cum pontifice concordare et omnia quae ei iussa fuerant eidem sanctissimo viro indicare. Qui facta pace cum sancta Dei ecclesia, colligens

ويبدو أن هذا التقرير يفتقر إلى المصداقية لأنه لم حيث لم يتم توثيق أي هجوم مسلم على صقلية قبل عام ٦٥٥. وذكر ابن عبد الحكم (توفي ٢٥٧ هـ/٨٧١ م)، وهو من المؤرخين المسلمين الأوائل لتوسع المسلمين في اتجاه الغرب، أنه في عام ٣٥ هـ/٦٥٥ م، أي عام وفاة مارتن، خاف سكان صقلية من هجوم مسلم قادم، لكنه لم يذكر أي تواجد الملسمين في الجزيرة قبل هذا التأريخ.[8] ويرى روتر أنه من غير المنطقي أن يساعد مارتن أعداء حليفه أوليمبيوس، ولذلك يستنتج روتر أن الموضوع عبارة عن سوء فهم أو أنه تهمة ملفقة: "بناء على ذلك فمن المحتمل وجود لبس في الرأي العام قبل بداية المحاكمة في القسطنطينية — ولو كان سوى لبس مصطنع! — أي قد افترض دعم البابا للخصوم بالمال وهؤلاء طبقا للوضع القائم ساعتها على الحدود القريبة ليسوا سوى الساراسينيون. وحتى بدء المحاكمة القضائية تكون الوقائع بالطبع قد تم التحقق منها وتم توضيح التناقضات الواضحة."[9]

[٤] بيد أن البحث العلمي يعطينا تفسيرات أخرى للرسالة التي تحيلنا إلى المنطقة الفلسطينية الشامية أو إلى شمال إفريقيا: فمن ناحية يشرح تهمة التعاون من الوضع الجماعي النفسي المتوتر للإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية. ويشير فولفرام براندیس (Wolfram Brandes) مثلا إلى الصدمة التي أعقبت التوسع الإسلامي وأثارت لدى البعض شعورا بنهاية التاريخ بينما استدعت لدى آخرين الاعتقاد بأن الله يعاقب الإمبراطورية من جملة أمور على الخطايا الكامنة في الضلال العقائدي. بموجب هذا التفسير تصبح القضايا ضد مارتن الأول وصاحبه في الكفاحة ضد المونوثيليتية مكسيموس هومولوجيتيس (مكسيموس المعترف) شكلا من أشكال "التغلب على الأزمة بوسيلة القانون"، أي إلى نوع من رد الفعل النفسي الزائد على عصر الاضطراب الهائل.[10] تتقدم نيكولا كلارك (Nicola Clarke) خطوة إلى الأمام فترى أن الاتهامات بالتعاون في فترة تلك التوسعات ومنها الاتهام الموجه لمارتن الأول بمثابة محاولة في ذلك العصر لعدم إرجاع سبب الهزائم في مواجهة المسلمين المتوسعين إلى قوة المسلمين الحقيقية بل إلى فشل مسئولين بعينهم، وذلك من أجل تقوية الوعي الذاتي بهذه الطريقة والحفاظ على الأمل بأن المسلمين ليسوا غير قابلين للهزيمة.[11] أما روبرت هويلاند (Robert Hoyland) فإنه يفترض من ناحية احتمال كون الاتهام ملفقا بهدف إقصاء شخص معارض. بيد أن هويلاند يرى احتمالية محاولة مارتن الأول بالفعل التواصل مع المسلمين المتوسعين كما حاول ذلك آخرون من معاصريه للوصول إلى تسوية مع نخبة الحكم الجدد. ولذلك فإن الاتهامات التي وجهت إلى مارتن يجب أخذها على محمل الجد حسب وجهة نظره.[12] ويحيل هويلاند في هذا السياق إلى العديد من الرسائل المكتوبة باليونانية اعتبرها باحثون آخرون دون مبرر بأنه رسائل لم يكتبها مارتين.[13] وهذه الرسائل التي نشرها جاك بول مين (Jacques Paul Migne) في مجموعته لكتابات المؤلفين الكنسيين اللاتينية من القرون الوسطى (Patrologia latina) هي موجهة في معظمها إلى أناس كانوا يعيشون تحت حكم إسلامي. منها مثلا رسالة بأخبار القرارات الصادرة عن المجمع الكنسي في لاتران برومة عام ٦٤٩ موجهة إلى كنيسة قرطاج التي هاجمتها قوات المسلمون لأول مرة بين عامي ٦٤٧ و٦٤٨.[14] وفي رسالة أخرى إلى يوحنا، أسقف فلادلفيا (عمان)، لم يرسل مارتن ملفات المجمع الكنسي في لاتران فقط، بل عين يوحنا نائبا كنسيا له ومنحه حق تعيين الأساقفة والكهنة — ويبدو أنه إجراء مناقض تماما لانتخابات الأساقفة الذي يجريه "الهراطقة" في المنطقة.[15] وهناك رسالة أخرى إلى الأسقف ثيودوروس بمنطقة حسبان بالشام التي تتضمن الأمر لمقاومة الهراطقة وكذلك لطاعة أوامر يوحنا المذكور

exercitum, profectus est Siciliam adversus gentem Saracenorum qui ibidem inhabitabant. Et peccato faciente maior interitus in exercitu Romano provenit. Et post hoc isdem exarchus morbo interiit."

[8] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، حققه توري، ص ١٩١. أنظر: König, *Arabic-Islamic Views*, p. 40, FN 94.

[9] Rotter, *Abendland und Sarazenen*, p. 186.

[10] Brandes, Krisenbewältigung, pp. 148–151, 153–154, 159–177.

[11] Clarke, *The Muslim Conquest*, p. 107.

[12] Hoyland, *Seeing Islam*, pp. 75–76.

[13] Conte, Martin I:, col. 341; Winkelmann (ed.), *Prosopographie*, p. 185.

[14] Martinus I., ep. 4 ad ecclesiam Carthaginensem, ed. Migne (PL 87), cols 145–154; Kaegi, *Muslim Expansion*, pp. 116–144.

[15] Martinus I., ep. 5 ad Ioannem episcopum Philadelphiae, ed. Migne (PL 87), cols 153–164.

فيما سبق.[16] وقد طلب نفس الشيء من شخص يسمى جيورجيوس، رئيس دير القديس ثيودوسيوس.[17] وكذلك تم إعلام كنائس أنطاقية والقدس بقرارات المجمع الكنسي في لاتران وانتقد بترسيم الأساقفة ماسيدونيوس أسقف إنطاكية وبطرس أسقف الإسكندرية، وطالب أيضا إبداء الطاعة ليوحنا، نائب البابا بعمان.[18] تشير هذه الرسائل إشارة قوية إلى محاولة مارتن في إطار حملة مناهضته للمنوثيليتية في المنطقة الشامية الفلسطينية الخاضعة في ذلك الوقت لحكم المسلمين إنشاء بنية كنسية بديلة. فهذا يجعلنا نفهم لماذا اتهمه القسطنطينية بالتعاون مع المسلمين. الباحث والتر كيجيه (Walter Kaegi) لا يستبعد هذا التفسير أيضا. يشير كيجيه إلى نظرية فريد دونر (Fred Donner) بأن المسلمين الأوائل لم يظهروا بكونهم جماعة دينية مختلفة اختلافا واضحا بل أكثر من كونهم ممثلين لحركة توحيد إصلاحية.[19] ويعتبر كيجيه في هذا السياق محاولات اتصال السلطات الكنسية بنخبة المسلمين أمرا مفهوما حتى في حالة مارتن. وطبقا لرأيه يمكننا الاعتقاد بأن رسالة مارتن بمثابة: "محاولة بابوية للتواصل مع المسلمين في فترة كانت تعتبر فيها المبادئ الدينية الأولى والممارسات الإسلامية مرنة وبذلك قابلة لإعادة الصياغة".[20]

[٥] ومما هو جدير بالذكر فعلا أن الاتهامات المبينة هنا في الفقرة المقتبسة من الخطاب والموجهة إلى مارتن لم تذكر في وثائق المصادر الخاصة بقضية مارتن. وتتضمن سيرة مارتين التي ألفها أناستاسيوس بيليوتيكاريوس (Anastasius Bibliotecarius، توفي ٨٧٩) بعنوان: "حكايات من منفى البابا المقدس مارتن" (*Narrationes de exilio sancti papae Martini*) عرضا تحزبيا للمحاكمة القضائية التي تصور البابا طبعا بصفته ضحية معاملة غير عادلة، ولكنها جمعت قائمة من الاتهامات نوردها فيما يلي: يُشار إلى مارتن هنا بصفته متمردا وعدوا للرب أراد أن يدمر العالم الروماني كله. كما يتهمه دوروثيويس، بتريك صقلية، وشهود آخرون بالتآمر مع أوليمبيوس ضد القيصر. ولا يظهر في تلك الاتهامات سوى نذر يسير من الخلاف العقائدي بين روما والقسطنطينية، بيد أنه لم يذكر أي تعاون مع المسلمين المتوسعين.[21] وبهذا يظل بالنهاية سبب شعور مارتن بأنه مضطر للدفاع عن نفسه ضد تلك التهم غير واضح.

(الترجمة: رضا حامد قطب سعد)

اصدارات المصدر وترجماته

Martinus I. papa, ep. 14 ad Theodorem, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 197–200.

Anastasius Bibliotecarius, Narrationes de exilio sancti Martini, ed. Bronwen Neil, *Seventh-Century Popes and Martyrs: The Political Hagiography of Anastasius Bibliothecarius*, Turnhout: Brepols, 2006, § 3, pp. 167–171.

المصادر المقتبسة العربية

ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، حققه شارلز كاتلر توري (Charles Cutler Torrey)، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩.

[16] Martinus I., ep. 6 ad Theodorum episcopum Esbuntiorum, ed. Migne (PL 87), cols 164–165.
[17] Martinus I., ep. 8 ad Georgium archimandritam monasterii sancti Theodosii, ed. Migne (PL 87), cols 167–168.
[18] Martinus I., ep. 11 ad ecclesiam Jerosolymitanam et Antiochenam, ed. Migne (PL 87), cols 175–180.
[19] Donner, The Islamic Conquests, pp. 28–51; Donner, *Muhammad and the Believers*.
[20] Kaegi, Seventh-Century Identities, pp. 168–169.
[21] Anastasius Bibliotecarius, Narrationes de exilio sancti papae Martini, ed. Neil, § 14–19, pp. 189–199.

المصادر المقتبسة غير العربية

Anastasius Bibliotecarius, Narrationes de exilio sancti Martini, ed. Bronwen Neil, *Seventh-Century Popes and Martyrs: The Political Hagiography of Anastasius Bibliothecarius*, Turnhout: Brepols, 2006, pp. 166–233.

Ibn ʿAbd al-Ḥakam, *Futūḥ Miṣr wa-aḫbāruhā*, ed. Charles Torrey, Cairo: Madbūlī, 1999 (repr. of New Haven: Yale University Press, 1922)

Liber pontificalis, ed. Louis Duchesne, 3 vols, Paris: de Boccard, 1955–1957.

Martinus I., ep. 4 ad ecclesiam Carthaginensem, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 145–154.

Martinus I., ep. 5 ad Ioannem episcopum Philadelphiae, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 153–164.

Martinus I., ep. 6 ad Theodorum episcopum Esbuntiorum, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 164–165.

Martinus I., ep. 8 ad Georgium archimandritam monasterii sancti Theodosii, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 167–168.

Martinus I., ep. 11 ad ecclesiam Jerosolymitanam et Antiochenam, ed. Jacques-Paul Migne (Patrologia Latina 87), Paris: Migne, 1863, cols 175–180.

المراجع المقتبسة والتفصيلية

Brandes, Wolfram: “Juristische” Krisenbewältigung im 7. Jahrhundert? Die Prozesse gegen Papst Martin I. und Maximos Homologetes, in: *Fontes minores* 10 (1998), pp. 141–212.

Clarke, Nicola: *The Muslim Conquest of Iberia: Medieval Arabic Narratives*, London: Routledge, 2012.

Conte, P.: Martin I., Papst, in: *Lexikon des Mittelalters* 6 (1993), col. 341.

Donner, Fred M.: *Muhammad and the Believers. At the Origins of Islam*, Cambridge/MA: Harvard University Press, 2010.

Donner, Fred M.: The Islamic Conquests, in: Youssef M. Choueiri (ed.), *A Companion to the History of the Middle East*, Malden: Wiley, 2005, pp. 28–51.

Hoyland, Robert: *Seeing Islam as Others Saw It. A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam*, Princeton/NJ: Darwin Press, 1997.

Kaegi, Walter E: Seventh-Century Identities. The Case of North Africa, in: Walter Pohl, Clemens Gantner, and Richard Payne (eds), *Visions of Community in the Post-Roman World: The West, Byzantium and the Islamic World, 300–1000*, Aldershot: Ashgate, 2012, pp. 165-82.

Kaegi, Walter Emil: *Muslim Expansion and Byzantine Collapse in North Africa*, Cambridge: CUP, 2010.

Kawar, Irfan: Djabala b. al-Ayham, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 2 (1991), p. 354, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_189.

König, Daniel G.: *Arabic-Islamic Views of the Latin West. Tracing the Emergence of Medieval Europe*, Oxford: OUP, 2015.

König, Daniel G.: Zur Ausstrahlung des Papsttums in die arabisch-islamische Welt. Eine Evaluation der arabisch-islamischen Berichterstattung zum Bischof von Rom, in: *Quellen und Forschungen aus italienischen Archiven und Bibliotheken* 90 (2010), pp. 1–52.

Neil, Bronwen: Commemorating Pope Martin I: His Trial in Constantinople, in: *Studia Patristica* 39 (2006), pp. 77–82.

Neil, Bronwen: The Lives of Pope Martin I and Maximus the Confessor. Some Reconsiderations of Dating and Provenance, in: *Byzantion* 68 (1998), pp. 91–109.

Neil, Bronwen: *Seventh-century Popes and Martyrs. The Political Hagiography of Anastasius Bibliothecarius*, Turnhout: Brepols, 2006.

Noth, Albrecht: Der frühe Islam, in: Ulrich Haarmann (ed.), *Geschichte der arabischen Welt*, München: Beck, ^{3}1994, pp. 11–100.

Plank, B.: Monotheletismus, in: *Lexikon des Mittelalters* 6 (1993), cols 765–766.

Rotter, Ekkehard: *Abendland und Sarazenen*, Berlin: de Gruyter, 1986.

Rubery, Eileen: Conflict or Collusion? Pope Martin I (٦٤٩–٦٥٤/5) and the Exarch Olympius in Rome after the Lateran Synod of ٦٤٩, in: *Studia Patristica* 52 (2012), pp. 339–374.

Stratos, A.N., The Exarch Olympius and the Supposed Arab Invasion of Sicily in AD 652, in: *Jahrbuch der österreichischen Byzantinistik* 25 (1976), pp. 63–73.

Winkelmann, Friedhelm et al. (eds): *Prosopographie der mittelbyzantinischen Zeit*, Abt. 1, 641-867, Berlin: de Gruyter, 2000, § 4851 (Martinus I.), pp. 184–185.